حكايات من القرآن

١٣

بقرة بنى إسرائيل

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

عادَ (الشَّيخُ حُسين) وابنُه (خالدٌ) من مجلسِ التَّعْزيةِ.. وذلك بعدَ انْتِهاءِ السَّهْرةِ.. وأَحَسَّ الشَّيخُ بالتَّعبِ والإرْهاقِ.. فَطَلَبَ من ابنِه أن يجلبَ لهُ الأغراضَ إلى الحَمَّام ، فإنَّه يرغَبُ في الغُسلِ قبلَ النَّومِ...

في تلكَ الأثناءِ كان الأولادُ في غُرْفَتِهم.. لكنَّ (بَشْرى) كانتْ في حالةٍ وَسَطٍ بين اليقظةِ والنَّومِ!!

لكنْ ما إن تَرامى إليها صوتُ جَدِّها الشَّيخِ.. حتَّى نَفَضَتِ الغِطاءَ عن جِسْمِها.. وانطلقتْ تريدُ لِقاءَه..

وما إنْ رَأَتْهُ في الصَّالُونِ ، حتى عانَقَتْهُ وعانَقَها.. وجلستْ في حِضْنِه ، وراحَتْ تلعبُ بِلِحْيتهِ البيضاءِ ، وهي تقولُ: أين أنتَ ياجَدِّي؟!

لقدِ اشْتقْنا إليكَ كثيراً.. واشْتقْنا إلى حِكاياتِكَ الرَّائعةِ...

سَأَلها الجَدُّ: وهل حَكَى لكم أحدٌ حكاياتٍ ما؟

أجابتْ: نَعَمْ يا جَدِّي ، لقد حَدَّثَتْنَا والدتي عن قِصَّة الرَّجلِ الذي آمن ، وهو ابنُ عَمِّ فِرْعون.. وكذلك حَدَّثَتْنَا عن قِصَّةِ أَصْحابِ القريةِ...

وغَداً لنا مَعَها لقاءٌ حَوْلَ حكايةٍ جَديدةٍ...

فَرِحَ الجَدُّ لفرحِ بُشْرى.. وقالَ لها: إذاً لا خَوْفَ عليكم.. فإذا أنا متُّ فإن والدَكُم

ووالدتَكُم سَيُقُصَّان عليكم القصصَ الجَميلةَ الرَّائعةَ...

وهَكَذا دَخَلَ الجَدُّ الحَمَّامَ.. بينما عادتْ (بُشْرى) إلى غُرْفَتِها.. وقد أخذتْ وَعْداً من جَدِّها أنه سيعودُ إلى الحِكاياتِ التي يَرْوِيها لهم..

وفي اليومِ التَّالي.. عادَ الأولادُ (بُشْرى وخالدٌ وطارقٌ) من المدرسةِ.. فَوَجَدوا والدتَهُم تنتظِرُهم خَلْفَ بابِ البيتِ...

ولمَّا دَخَلُوا وَجَدُوا الطَّعامَ على المائدةِ...

قالتِ الأمُّ: هَيَّا يا أحبابي.. قُومُوا فاغْسِلُوا أيدِيَكُم قبلَ تَناوُلِ الطَّعامِ...

سألتْ (بُشْرى): ولِمَ هذه العجَلةُ على غيرِ عادةٍ يا أُمِّي..؟

أجابتِ الأمُّ: بَعْدَ تناولِ الطَّعامِ.. سَأَحْكي لكُم

الحِكايةَ التي وَعدتُكم بها ، وذلك أثناءَ شُرْبِنا الشَّاي بالنَّعْناعِ...

ولكنْ ـ قالتْ (بُشْرى) ـ لم تُجِيبيْني عن سُؤالي يا أمي! لم هذه العَجَلةُ..؟ قالتِ الأمُّ: لأني قد وَعَدْتُ جاراتي.. وصَدِيقاتي أن نَذْهَبَ إلى بيتِ جَارِنا المَرْحُوم بإذنِ اللهِ (أبو صالح).. وسنقرأُ جميعاً خَتْمةَ القرآنِ على رُوحِه..

وهكذا بدأتْ (أمُّ خالدٍ) الحِكايةَ الجَديدةَ:

جريمةٌ يَشْهَدُ لها التَّاريخُ!!

كانَ يا ما كانَ.. كان في قَديمِ الزَّمانِ ، كانَ رجلٌ من بني إسْرائيلَ غَنِيّاً..

بَقِي ذلك الرّجلُ طيلةَ حياته وَحِيداً.. لا زوجةَ له ولا ولداً ، وكان عنده مالٌ كثيرٌ..

وكان له أولادُ أخٍ ، لكنهم كانو فقراءَ مُعْدَمِينَ..

وشاعَ في القريةِ أنَّ ذلك المالَ سيعودُ بعد موتِ الغَنِيِّ إلى أولادِ أخيه ، فَهُمُ الوَارِثُونَ لا أَحَدَ غَيْرُهم..

وكان هذا الغنيُّ بخيلاً شَحِيحاً ، لا ينفقُ من المالِ إلا مانَدَرَ.. وكان في كُلِّ مساءٍ يدخلُ دارَهُ.. ويُغْلِقُ أبوابَ بَيْتِه.. ويجلسُ مَعَ أموالِه.. يُنَظِّفُها ويُلَمِّعُها.. ويَتَحَدَّثُ معها.. ويُقَلِّبها ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمالِ.. حتَّى كأنَّه يَعْبُدُها من دُونِ اللهِ..!!

ومِنْ كثرةِ حِرْصِه على المالِ.. ومن شِدَّةِ بُخْلِه ، كَرِهَه أهلُ القريةِ ، بل حتَّى أقربُ النَّاسِ إليه ، وراحُوا يَتَمَنَّوْن مَوْتَهُ.

لكن ماذا تُفِيدُ الأماني..؟

ويشاءُ اللهُ تعالى أن تمتدَّ بذلك الرجلِ سنُونُ

الحياةِ ، فيصبحَ كبيراً في السِّنِّ...

وعجيبٌ حِكايةُ بَعْضِ النَّاسِ.. إنَّهم يَرَوْنَ أمامَهُم أقربَ النَّاسِ إليهم.. يَرْحَلُون الواحدَ تِلْوَ الآخَر.. أَصْدِقاءهم.. أَحْبابهم.. جِيْرانهم.. ثم تَجِدُهم لا يَعْتَبِرُون أبداً...

وهَكَذا كان حالُ ذلكَ البخيلِ... لم يَبْقَ من أَقْرانِه أَحَدٌ.. ومع ذلك يحرصُ على أُمُورِ الدُّنيا.. وكأنَّه لن يَمُوتَ أبداً!!

ذاتَ ليلةٍ من ليالي الشِّتاءِ المُظْلِمةِ.. خَطَرَ ببالِ واحدٍ من شَبابِ أولادِ أخيهِ مَسْأَلة عَمِّه.. والمال.. وطُول العُمر و...!!

فَقَرَّر الخلاصَ منه.. ، لكن كيفَ يكونُ ذلك..؟

تَسَلَّل إلى بَيْتِه.. ثم هَجَم عليه ، وراحَ يَطْعَنهُ بِسِكِّينٍ حادَّةٍ.. حتى ماتَ.. ونَظَرَ الشَّابُّ

القاتلُ وصاحَ: ويلي.. ماذا أعملُ بجثّة عَمِّي؟!

فَتَحَ بابَ المنزلِ.. وحَمَل عَمَّه إلى قارعةِ الطَّريقِ.. وألقاهُ على الأرضِ.. ثم عاد مُسْرِعاً.. وكأنَّه لم يَرْتَكِبْ أيَّ ذَنْبٍ..

وأشرقتِ الأرضُ بِنُورِ ربِّها.. وخَرَجَ الناسُ إلى أماكنِ العَمَلِ والرِّزْقِ.. فرأوا جُثَّةَ البخيلِ الغَنِيِّ.. ووقفَ الناسُ يتساءلون: مَنِ الذي ارتكبَ جَرِيمةَ القَتْلِ بِحَقِّ هذا الشَّخْصِ؟

وهُرِعَ القاتلُ من بيته.. فلمَّا رأى الجُثَّةَ راحَ يبكي ويَصْرُخُ.. ويسيرُ نحو اليمينِ ونَحْو الشِّمالِ وهو يقولُ: أريدُ أن أقبضَ على قاتلِ عَمِّي..!!

ولما لم يعترفْ أحدٌ بجريمةِ القَتْلِ.. حَمَلَ بعضُهم السِّلاحَ وراحَ يُهَدِّدُ.. وردَّ عليهم

آخرون.. حتَّى كادتِ الفِتنةُ والحربُ يقعانِ فيما بينهم..

فاجتمعَ أهلُ الرَّأي وتَشَاوَرُوا فيما بينهم.. ثم اتَّفَقُوا على الذَّهابِ إلى نبيِّ اللهِ موسى ، فهو الذي يعرفُ حَلَّ المُشْكِلات.

فماذا تقولُ يا موسى؟!

وبالفِعْلِ.. انطلقَ الكِبارُ وأهلُ الرَّأي إلى نَبِيِّ الله موسى.. وأَخْبَرُوه بِما جَرَى..

فقالَ: لا أَدْرِي حتى يَحْكُمَ اللهُ بذلك..

ولمَّا هَبَطَ عليه الوَحْيُ... قال لهم: إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أن تَذْبَحُوا بقرةً!!

فَنَظَرَ بعضُهم إلى بعضٍ وقالُوا: وما دَخْلُ البقرةِ في قِصَّةِ الرجلِ البخيلِ؟

وراحُـوا يتشـدَّدُونَ.. ويُكْثِـرُونَ الأَسْئلـةَ المُحْرِجةَ ، وكأنَّهم يُحاوِلُون تعجيزَ نبيِّ اللهِ موسى.

فَطَلَبُوا من موسى أن يَدْعُوَ ربَّه ليحدِّدَ لهم أهمَّ صفاتِ البقرةِ المَطْلُوبة.. ، إنَّهم يُرِيدُونَ أن يَعْرِفُوا شيئاً عن سِنِّها.

فَأَخْبَرهم أَنَّها ليستْ صغيرةً ولا كبيرةً ، بل إنَّها وَسَطٌ بين الأمرَيْن..!!

فسألوه: ولكنْ ماهو لونُ البقرةِ؟

فأجابهم: إنَّها صَفْراءُ شَدِيدةُ الصُّفْرةِ.. إذا نَظَر إليها النَّاظِرُ سُرَّ بها...

فَسَأَلُوه: نُرِيدُ صِفاتٍ ومَيِّزاتٍ إضافِيَّةً ، فالبقرُ يَتَشابَهُ بالصِّفات و..!!

فَأَجَابَهُم: يجبُ أن تَكُونَ بقرةً سالمةً من

العُيوبِ ، ولم تعملْ في حِراثةٍ ولا سَقْي..

وانطلقَ القَوْمُ في أرجاءِ القريةِ بَحْثاً عن بقرةٍ فيها تلكم المُواصفات والمَيِّزات..

وبعد أيامٍ لم يَجِدُوها إلا عند رَجُلٍ واحدٍ.

فَطَلَبُوا منه أن يَبِيْعَهُم البقرةَ.. فَرَفَضَ.. وحاولُوا مِراراً وتكراراً.. وهو يطلبُ المالَ الكثيرَ.. وبالتَّالي اضطرُّوا أن يَشْتَرُوها بالذَّهَبِ الخالِصِ!!

لكن أَتَدْرُون يا أولادي ماذا حَدَثَ بعد ذلك؟

اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها

وانطَلَقُوا إلى نَبِيِّ الله مُوسى يَسْتَفْسِرُونَ منه عن كيفيَّةِ التَّعرُّفِ على القاتِلِ الحَقِيْقِيِّ..

فأوحى اللهُ تعالى إليه أن يُخْبِرَهُم بأمرٍ خَطِيرٍ!!

قال: إنَّ اللهَ يأمرُكُم أن تَذْبَحُوا البقرةَ ، ثم تأخُذُوا قِطعةً منها.. فَتَضْرِبُوا المَيِّتَ بِها.. فَيُحْيِيَ اللهُ المَيِّتَ.. ثم تَسْمَعُون كلامَهُ..

قال (خالدٌ): ولكنْ كيف يكونُ ذلك ، والرجلُ ميّتٌ؟

أجابتِ الأمُّ: الم تَسْمَعُوا قِصَّةَ (عُزير) وكيف أحياه اللهُ بعد مئةِ عامٍ؟!

تابعتِ الأمُّ الحِكايةَ:

فَذَبَحُوها.. ثم أَخَذُوا منها قِطْعةً.. ثم ضَرَبُوه بها.. فإذا به يَقُومُ واقفاً...

فَسَأَلُوه: يا هذا مَنْ قَتَلَكَ؟

فأشار إلى ابنِ أخيه.. ثم ماتَ مَرَّةً أخرى!!

واجتمعَ الرِّجالُ عليه.. ونَفَّذُوا فيه حُكْمَ الموتِ..

ثـمَّ التفتـتِ الأمُّ إلـى الأولادِ وقـالـتْ: مـاذا اسْتَفَدْتُّم من هذه القِصَّةِ الصَّغِيرةِ؟

فسكتَ الأولادُ.. فقالتِ الأمُّ: أهمُّ أمرٍ أن ينَفِّذَ الإنسانُ أوامرَ الله دُونَ أن يُكْثِرَ من التَّساؤلاتِ والاسْتِفْساراتِ.. وأن يعتقدَ الإنسانُ تماماً أنَّ الله الذي أعادَ لذلك الرَّجُلِ رُوحَهُ ، قادرٌ سُبحانَهُ يومَ القيامةِ والحِسابِ.. وأن يَعرفَ أنَّ اليهودَ فـي القـديـمِ والحـاضِـرِ قَـوْمٌ يَعْـرِفُـونَ اللَّـفَّ والدَّورَانَ والحِيَلَ.. وحُبَّ المالِ.. فَهُمْ قَتَلَةُ أنبياءِ اللهِ..

وفتحتْ (أمُّ خالدٍ) القُرآنَ الكريمَ ، وراحَتْ تُرَتِّلُ القصةَ من كتابِ الله:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ
قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا
فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ
لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ
لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا
تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ
فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ
فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ
كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

[البقرة: ٦٧ ـ ٧٣].

ثم قالتْ: هَيَّا يا أولادي.. قُومُوا إلى حِفْظِ دُرُوسِكُم ، وكِتابةِ وظائفكم.. أمَّا أنا فسأذْهَبُ ـ كما أخبرتكم ـ إلى بيتِ المرحومِ لِلْعَزاءِ..

والحَمْدُ لله رَبِّ العالمينَ